ديزيره سقال



قُصاصات

٢٠٢٢

ديزيره سقال



قُصاصات

٢٠٢٢

الأرض البوار

مِزَقٌ على الطَّرَفَيْنِ يَفْريها القِطارْ
في غَيْهَبٍ ضَجَّتْ بِهِ حُمَمُ الدّمارْ،

والأُفْقُ شَوْكٌ أَطْلَعَتْهُ مَجامِرٌ
مُسِخَتْ بِها الدُّنْيا، فَما طَلَعَ النّهارْ.

ذُلَّتْ جِباهٌ ما ٱنْحَنَتْ يومًا، ولا
رَضِعَتْ سِوى لَهَبِ الشُّموسِ مِنَ الوَقارْ.

مِنْ أَيْنَ كَأْسُ الموْتِ تَأْتينا، وَقَدْ
جَفَّتْ بَقايانا عَلى أَرْضٍ بَوارْ؟

الوطن العملاق

غَطَّتْهُ سُحْبٌ، وَحالَتْ دونَهُ الأُمَمُ:
قَلْبٌ تَسامَتْ بِهِ، في شَمْخَةٍ، قِمَمُ.

لَوْ كُنْتَ تَسْأَلُ أَضْرابَ الذُّرى خَبَرًا
يُجِبْنَ: مِنْ ثَلْجِهِ الراياتُ تَرْتَسِمُ.

أَكانَ حَتْمًا عَلَيْهِ أَنْ يَشيلَ إِلى
أَقصى المدى صَخْرةً "سيزيفُها" هَرِمُ؟

إِنْ أَرْضُهُ مُزِّقَتْ أَحشاؤُها حَسَدًا
فَلا عَزيمةَ وَهْنٍ فيهِ أَوْ عَدَمُ.

راياتُهُ عِزَّةً مَجْبولَةٌ، شَمَخَتْ،
مُكَلَّلاتٍ، وَإِنْ هَبَّتْ بِها ظُلَمُ،

إِنْ تُمْسِكِ الأَرْضَ البَوارَ تَرُدَّها
رَعْدًا تَفَجَّرُ مِنْ أَحشائِهِ الدِّيَمُ.

هُوَ العِضابُ إِذا أعوامُهُ أَزِمَتْ،
والفَجْرُ، فَجْرُ النَّدى، إِنْ عَرْبَدَتْ قَدَمُ.

أَبناؤُهُ شَمَخوا في السَّمْتِ، فاقْتَطَعوا
مِنَ النجومِ عَناقيدًا، وما حُرِموا.

شاءُوا: إذا بالمدى والكَوْنِ مُنْتَجَعٌ
سَقَوْهُ أَحْلامُهُمْ، فاسْتُنْبِتَتْ هِمَمُ،

وَأَمْسَكوا بِفَمْ التِّنِّينِ، فانْتزَعوا
أَنْيابَهُ: كُلُّ نابٍ بينَها بَرَمُ،

وَأَغْمَدوها بِقَلْبِ الأَرْضِ، فانْبَثَقَتْ
أَرْزًا تَخُرُّ لَهُ، في تِيهِهِ، النُّجُمُ...

يا، قُدَّ مِ ٱلْحَجَرِ الصَّوّانِ عِصْمَتَهُ،
وَٱمْسَحْ بِها الكَوْنَ، عَلَّ الكَوْنَ يَنْتَظِمُ،

وَشَأْ تَكُنْ في البَحْرِ مَرْكَبَةٌ
خَفّاقَةُ الحَرْفِ، فيها الأُفْقُ يَعْتَصِمُ.

إِنْ كانَ بَيْنَ الثّرى والأَرْضِ رابِطَةٌ
فَأَنْتَ والأَرْزُ: عَهْدٌ لَيسَ يَنْفَصِمْ.

(١٧/ ٩/ ١٩٨٧)

لبنان

غاضَ فيكَ الوَهْجُ، والإشْراقُ غابا،
يا ٱلذي لُفَّ بِهِ الكَوْنُ كِتابا،

فإذا ما ٱغْتيلَ في فيكَ الصدى
فَحِجارُ الكَوْنِ أَصْداكَ عِذابا.

أَلأَعالي؟ كُنَّ أَطْفالًا على
صَدْرِكَ، ٱلدَّهْرَ، يُذَلِّلْنَ الصِّعابا،

وَالسَّما تُزْهِرُ في مُهْجَتِهِ
شُهُبًا مِنْ لُبِّهِ مُدِّدْنَ غابا.

فَإِذا أَنْجُمُهُ يَحْسِدْنَهُ:
أَيُّها المرْتَدُّ تِيهًا وسَرابا،

بَعْدَكَ الأَرْضُ التي أَخْصَبْتَها
بُدِّلَتْ صَحراءَ دَيْجورٍ يَبابا!

ما تُرى لَوْ عادَ لِلَّيْلِ الضِّيا —
لَوْ رَآكَ المجْدُ: طابَ الخُلْدُ، طابا...

دونَكَ الليلُ، فَشَأْ تَسْمُ بِهِ
أَرْزَةً حَوَّلَتِ الدَّهْرَ رَبابا.

إِنْ مُحالٌ هَبَّ في نَشْوَتِهِ
طَأْطَأَ الهامَ بِعَيْنَيْكَ وذابا!

بَأْسُهُمْ؟ ما ٱلبَأْسُ؟ إِنْ هَبَّ دُجًى
كُنْتَ أَنْتَ البَأْسَ والبيضَ العِضابا —

سَكِرَتْ فيكَ الثرَيّا، فَحَنَتْ
تَنْظمُ الشِّعْرَ، وتَسْقيكَ الرّضابا:

كُنْتَ شِعرَ الغيبِ في بَوْحِ المدى
فَسَبَوْهُ حُسَّدًا حَتّى الثِّيابا.

أَتُرى، حينَ كَلِمْتَ ٱنْجَرَحَتْ
دَمْعَةُ الشمْسِ لَنا، والحُزْنُ آبا؟

لا! فَإِنْ ظَنّوا فَزَعْمٌ واهِمٌ،
أَرَدًى يُبْلي الذي يُحْيي الخَرابا؟

خَطْرَةٌ أَنْتَ وَوَحْيٌ سَرْمَدٌ
قَطَفَتْهُ الشمسُ، فالْتَذَّتْ عَذابا،

ورَمَتْنا أَرْزَةٌ في تُرْبِهِ،
باسَها اللهُ، فما عادَتْ تُرابا!

(١٩٨٧)

معبد دُكّ

مَعبدُ دُكَّ، فَغيمي يا سَماءُ،
وَجْهُكِ الآنَ ضَبابٌ وَعَياءُ،

وعلى الآفاقِ جوعٌ مُعْتِمٌ
فيهِ أَنْيابُ الضَّواري والدِّماءُ.

مَأْتَمٌ يَنفرُ مِنْ قلبِ المدى،
لا صلاةٌ فيهِ، لا صَوْتٌ حِداءُ...

أَعَلى الأَكْتافِ سَفْحٌ مِنْ لُبا
نِ بَخورُ الثَّلْجِ؟ أَمْ قَفْرٌ خَلاءُ؟

كانَ يا ما كانَ: قَلْبٌ نابِضٌ
كُلُّ نَبْضٍ فيهِ صَوْلٌ، كِبرياءُ —

وِقْفَةُ العِزِّ، وَمِنْ ضَوْعَتِها
نَبَتَ الأَرْزُ كَبيرًا، والضّياءُ.

مَعبدٌ لِلحُسْنِ، فيهِ ناسِكٌ
يُنْشِدُ الشِّعْرَ صَلاةً، وبَهاءُ؛

مَعبدٌ دُكَّ، فَما زالَ المدى
بَلْقَعًا، والرَّمْلُ أَمْداءٌ خَواءُ...

صَلَّتِ الآياتُ فيهِ رَكْعَةً،
ما لَهَا الآياتُ يُبْكيها الفَناءُ؟

صارَ بَيْتُ اللهِ قَفْرًا ساخِرًا
تَنْعَقُ الأَطْلالُ فيهِ والدِّماءُ!

يا لَسادومَ ٱصْطَلَتْ وٱنْبَعَثَتْ
تُنْجِبُ الإِثْمَ، وَيُعْيِيها الوَباءُ!

مَعْبَدٌ دُكَّ — وَداعًا يا عُلى:
سَقَطَ الخُلْدُ صَريعًا والقَضاءُ!

انتفاض النَّسر

أَلوَقْتُ يَذْرفُ دَمعةً حَمراءَ،
ويمرُّ مَكسورَ الجبينِ مَساءَ،

والنَّسْرُ مَغْلولُ الجَناحِ، مُعَذَّبٌ،
لا شَمسُهُ تَعْلو، ولا أَصداءَ...

خَلَتِ الشِّعابُ مِنَ الزَّعيقِ، فلا تَرى
إِلّا هَباءً أَسْودًا وَهَباءَ...

والشمسُ بارِدَةٌ ومُعْتِمَةٌ، فَلا
لَيْلٌ يُزاحُ مُحَرِّرًا أَضواءَ!

لا شَيْءَ يَرْفَعُ عَنْ ثَرانا لَعْنَةً
حَلَّتْ بهِ، فَخزى الفؤادُ وناءَ...

طُغَمٌ تَقاسَمَتِ المكاسِبَ عُنْوَةً
تَعْتو، وتُظهِرُ رَحْمَةً صَمّاءَ،

كَالعُرِّ يَكْمُنُ تارةً، ويَسوحُ إِنْ
أَلفى مِنَ الجسَدِ البليدِ عَياءَ...

وتَلَفَّتَ النَّسْرُ المكَبَّلُ حينَما
سَمِعَ النُّواحَ يفجِّرُ الأَمْداءَ،

ورأى البِلادَ تَعَفَّنَتْ وتَحَلَّلَتْ
وغَدَتْ خِلالَ نِزاعِها صَحْراءَ.

نَفَضَ الجَناحَ، فَلا غِلالَ تَعوقُهُ،
وَلَوى الحَديدَ، وَمَجَّهُ أَشْلاءَ،

وَسَما إِلى كَبِدِ السَّماءِ، وَخَلْفَهُ
زَعْقٌ يَهُزُّ الأَرْضَ والعَلْياءَ،

وٱنْقَضَّ يَجْتَثُّ البُغاثَ مِنَ المدى
وَيُذيقُ طَعْمَ بُروقِهِ الأَعْداءَ.

حَمَلَ الخلاصَ إِلى الثرى مِنْ لَعْنَةٍ،
وَأَعادَ دِفْءَ النورِ والأَنْواءَ...

ظَنّوا سُكوتَ النَّسْرِ مَفْخَرَةً لَهُمْ،
لَمْ يَعْرِفوا صَمْتَ العلى ٱسْتِعْلاءَ...

النَّسْرُ طارَ إِلى السَّماءِ مُحَلِّقًا،
والصِّلُّ يَسكُنُ نَسْلُهُ الحَصْباءَ.

(١٩٩٠)

ألفُ طِفل

(إلى أطفال الحجارة في الأرض المحتلة)

ما لِعارْ تَناقَلتْهُ القضايا!
جَبْهَةُ الكَوْنِ عَفَّرَتْها المنايا،

وعيونُ الإِلَهِ أَرْخَتْ سِتارًا
حَجَبَ الأَرْضَ عَنْهُما، والبَرايا.

لَيْسَ تُجْدي الصلاةُ، فاللهُ غَيْبٌ،
وثرى اللهِ دَنَّسَتْهُ البَغايا.

كَسَرَ "الفَتْحُ" سَيْفَهُ، فَعَرَفْنا
فَضَّلَ العُرْبُ أَنْ نَظَلَّ سَبايا!

أَطْرَقَ الدَّهْرُ: فالأَناجيلُ صَمْتٌ،
والقَرائينُ ضَجْعَةٌ وَتَكايا،

وصَليبُ المسيحِ بِعْناهُ زورًا
لِمسيحِ النِّفاقِ رَبِّ الخَطايا!

لَمْ يَقُمْ بَينَنا أَميرٌ وَقورٌ
يَحفظُ العِرْضَ مِنْ ذَليلِ العَطايا،

لَمْ يَقُمْ بَيْنَنا نَبِيٌّ وَحيدٌ
يوقِظُ الكَوْنَ مِنْ نُعاسِ الحَكايا...

وَإِذ بِالحَمامِ صارَ نُسورًا
تُفْرِغُ البَرْقَ في عُروقِ الزَّوايا،

وإِذا بالسَّديمِ جُرْحٌ عَميقٌ
في ضَميرِ الفضاءِ، بلْ في السَّجايا:

وَلَدٌ يَجْمَعُ البروقَ بِكَفٍّ،
وبِكَفٍّ يَشجُّ وَجْهَ الرَّزايا،

قطَفَ الشَّمْسَ دَمْعَةً فوقَ خَدٍّ
وَسَبا الفَجْرَ قُبْلَةً للصبايا.

وَجْهُهُ ٱنْحَلَّ في وُجوهٍ تَلاقَتْ
تَهْدُمُ المستَحيلَ فَوقَ البَلايا.

أَلْفُ طِفلٍ بينَ الملايينِ قالوا:
"نَجْعَلُ الدَّهْرَ غِنْوَتَينِ وَنايا."

أَلْفُ طِفْلٍ بينَ الملايينِ قالوا:
"خَسِئَ الموتُ، لنْ نَكونَ الضَّحايا!"

فَتَحَ الكَوْنُ كُلَّهُ مُقْلَتَيْهِ:
إِنَّهُ البَرْقُ مُزْهِرٌ في الخَلايا...

(١٩٨٩)

التَّتَر

(إلى العماد ميشال عون)

- ١ -

صاتَتِ الدُّهْمُ فادْلَهَمَّ الظَّلامُ،
وَارتَمَتْ في حُجورِها الأَوْهامُ،

وتَجَلّى المدى بِسِتْرٍ رَهيبٍ
طَرَّزَتْهُ جَماجِمٌ وَعِظامُ...

سَفَحَ الصَّمْتُ وَجْهَهُ مُهَراقًا —
غَيْمَةٌ لَفَّتِ المدى، لا تَنامُ!

فُتِحَتْ في الضَّميرِ قارورةُ الرُّعْـ
ـبِ، وَشَمَّتْ سُمومَها الأَيّامُ...

ثَمَّ، في هَدْأَةِ السَّكينَةِ، لَوْحٌ
مُبْهَمٌ في جَليدِهِ، أَحْلامُ...

ثُمَّ نَزَّتْ عَيْنُ السماءِ صَديدًا،
قَطْرَةٌ مِنْ بَعيدِها، وَرغامُ...

عَظُمَ اللَوْحُ، وانْبَرَتْ في زوايا
هُ غُيومٌ يُطِلُّ مِنْها ٱنْهِدامُ،

وَتَجَلّى لِلْعَينِ، بَعْدُ، لِسانٌ
مِنْ صَهيلٍ تُجَنُّ فيهِ السِّهامُ:

قَبَسٌ أَسْوَدٌ، وَشَلّالُ هَوْلٍ،
خُنِقَ الكَوْنُ تَحْتَهُ وَالأَنامُ.

– ٢ –

تَتَرٌ مِنْ لَظى سَقَرٍ حيـ
نَ تَراءى شَيْطانُها إِنْسانا،

خَلَعَتْ كَفُّهُ رِتاجَ المنايا،
وٱسْتَباحَتْ سُيوفُهُ الأَبْدانا.

قَتَلَ الحِقْدُ فيهِ عُرْسَ جَمالٍ
وفُتونٍ كانَ ٱسْمُهُ لُبْنانا.

تَتَرٌ جَرَّتْ خَيْلُها سُحُبَ المَوْ
تِ، وَأَرْخَتْ عيونُها الأَكْفانا.

زَحَفَتْ تَصْهَلُ الخيولُ إِلى بَيْـ
ـروتَ، والموْتُ يَعْقُدُ الأَجْفانا،

فقضى الضوءُ، واسْتَحالَ ضَبابًا،
وانْبَرى الرُّعْبُ يَهْدُمُ البُنْيانا:

قائِدٌ يُرْسِلُ الجيوشَ إِلى التّيـ
ـهِ، ويَرْمي بِرِمْحِها الإيمانا،

رافقَتْهُ الدماءُ أَنّى تَراءى،
وَسَقى الأَرْضَ هَدْمَهُ والدُّخانا،

فمدى العينِ شُعْلَةٌ مِنْ ذهولٍ،
وَجَحيمٌ يُضيعُ فيهِ الزمانا.

– ٣ –

غَرِقَ الفجرُ في الدموعِ، ولاحَتْ
في المدى أَفْعًى تَزْرَعُ الأَمْراضا.

أَيْنَ مَنْ يَسْفَحُ الدِّماءَ لِشَعْبٍ
ويُصَلّي، وليْسَ يُبْدي ٱعْتِراضا؟

أَيْنَ مَنْ يَدْفَعُ الخُطوبَ برِمْحٍ،
ويَرُدُّ الردى، ويَحْمي الحِياضا؟

أُفْرِغَ الكوْنُ مِنْ مَعانيهِ، فاللـ
ـهُ سَرابٌ: لا نَظْرَةٌ، لا ٱمْتِعاضا...

غَيْرَ وَجْهٍ غاضَتْ بِلَمْعَةِ عَيْنَيْـ
ـهِ المنايا، وعالَمُ الهَوْلِ غاضا،

يَتَجَلّى زَوابِعًا وهَديرًا،
آضَ عُرْسًا، وَعَزْمُهُ، ثَمَّ، آضا.

طارَ والغيمُ حَوْلَهُ أَيُّ تاجٍ
يَزْرعُ المجْدَ في القلوبِ رِياضا؛

قُدَّ مِنْهُ السَّنا وبَرْقُ الأَعالي،
ورَحيقُ الأَحْلامِ ضاعَ وفاضا...

وجَنى الشمسَ في يديْهِ لِأَرْضٍ
رَسَخَتْ تَحْتَ لَيْلِها أَنْقاضا...

– ٤ –

بَطَلٌ يولِدُ اليَبابَ مِنَ الأَرْ
ضِ، ويَخْضَرُّ في يَديهِ البَوارُ.

هَبَّ يَمْتاحُ صَوْلَةَ الخُلْدِ مِنْ نَهْ
رِ شُموخٍ تَهُبُّ فيهِ الجِمارُ،

رفَعَ المجْدُ رايَةً، وتراءى
عُنْفوانُ الزَّمانِ مِنْهُ يَغارُ،

وسَما مِثْلَ شَمْخَةِ النَّسْرِ تِيهًا،
في يَدَيْهِ صَواعِقٌ وَشِفارُ...

وإذا جَحْفَلُ التَّتارِ ذَهولٌ،
جبَلُ الخَوْفِ فوقَهُ، مُخْتارُ،

لَيْسَ يَدري: أَأَوْلَدَ الحَتْمُ حَتْمًا
مِنْ رُخامٍ، أَمْ أَنَّهُ الأَقْدارُ؟

عاشَ، مِنْ ذُعْرِهِ، ٱلفَسادَ بِأَرضٍ
مَزَّقَتْها خُيولُه والنارُ،

جَلَدَ الأَبْرِياءَ جَوْرًا، وَجالَتْ
عَرَباتٌ يَسيلُ مِنْها الدَّمارُ،

غَيْرَ وَجْهٍ جَنى النجومَ مِنَ الخُلْ
دِ هَصورًا، فَخافَ مِنْهُ التَّتارُ...

– ٥ –

أَفَلَ الصَّمْتُ، وٱنْحنى الفَجْرُ فَوْقَ الـ
أَرْضِ يَشْتَمُّ في ثَراها السُّهوبا،

وعَدَتْ بَيْنها الرياحُ طَويلًا
يَمْسَحُ العارَ عَصْفُها والذنوبا،

وبَدا البرْقُ فَوْقَهُ بَطَلٌ يَصْـ
ـدَعُ نَوْمَ الدنْيا، يَقُدُّ الغروبا،

غسَلَ الروحَ في مَهاوي الوعورِ الـ
ـخُضْرِ، وازْدانَ باللهيبِ غَضوبا.

صُعِقَ الجَحْفَلُ التَّتارِيُّ بالنا
رِ، وَأَقْعى في يَأْسِهِ مَنْكوبا —

فَشِلَ الجَوْرُ والرياءُ، فَكانَتْ
غِلْبَةُ الحقِّ في السماءِ طَروبا،

وبَدَتْ أُسْدُهُمْ تَجُرُّ الذَّ
يْلَ خَوْفًا، وَقَدْ هَوَتْ، وهُروبا:

رُفِعَ العارُ عَنْ نفوسِ البَرايا،
ورَمَتْ ثَوْبَ ذُلِّها والشحوبا،

بلَغَتْ كَفَّها النجومُ، فراحَتْ

تَغسلُ الأرْض بالضِّيا والقلوبا.

(١٩٨٩)

الخالد

(إلى العماد ميشال عون)

ضَرَباتُ سَيْفِكَ، إذْ ترُدُّ، دَمارُ،
فاضرِبْ، فَأَنْتَ الواحِدُ القَهّارُ.

قَطَفَ العَلِيُّ مِنَ السماءِ زَوابِعًا
وبَراكَ، فارْتَجَّ الزَّمانُ يَحارُ:

فَبِقَبْضَةٍ نَبَضَ الخلودُ مُجَلْجِلًا،
وَبقَبْضةٍ شَقَّ الزمانَ شَرارُ.

لَثَمَتْ مُحَيّاكَ الصقورُ، وَأَوْمَضَتْ
تَحْتَثُّ أَحْلامَ البُغاةِ شِفارُ —

نَصْلٌ كَأَنَّ العَصْفَ مُلْتَمٌّ بهِ
لِلْفَتْحِ، يَخْترِقُ المدى، وقَرارُ:

الأَرْضُ دَنَّسها الغُزاةُ، فَحَقُّها
حُرِّيَّةٌ شالَتْ بها الأَحرارُ.

وٱنْداحَ مِنْ شَبَقِ الضواري نَفْحَةٌ
عَزَّتْ عليها الأرضُ والأَبرارُ.

غَرَسَ التمرُّدُ في جَبينِكَ غَرْسَهُ،
ونَما، وهَوْلُكَ ضارِبٌ، مِكْثارُ،

فَتَمَلْمَلَتْ طُغَمُ القرودِ كَبيرَها
والعارُ فوقَ جَبينِها أَنْهارُ —

إنَّ الكِلابَ إذا تَعَمْلَقَ بَعْضُها
ظَلَّتْ كِلابًا يَمْتَطيها العارُ،

فاضْرِبْ، فَنَصْلُكَ لاهِبٌ، وعلى المدى
فرَسٌ تَشِبُّ، وفارسٌ مِسعارُ.

(١٩٩٠)

لبنان باقٍ

(قيلت بمناسبة عيد الاستقلال)

يا ساكِنًا جَنَّةَ الإشراقِ في الحِقَبِ،
سائِلْ فَدَيْتُكَ، عَنْ لبنانَ والصُّحُبِ.

اللّيلُ غَطّى دُجى الراياتِ، وانْكَسَفَتْ
شَمْسُ القلوبِ، وعينُ اللهِ لَمْ تَغِبِ!

قامَ الصليبُ على ظَهْرِ الأُلى رَحَلوا،
والماكِثونَ هَوَوا في لَعْنَةِ السَّغَبِ...

أَكُلَّما ٱنْزاحَتِ الآفاقُ عَنْ بَطَلٍ
هاجَتْ قرودٌ على أعْراشِها العُجُبِ؟

كَمْ أَنْبَتَتْ أرضُنا مِنْ رائدٍ عَلَمٍ
يَأْبى المذلَّةَ لِلأَوْطانِ والتُّرُبِ،

ويُسْفَحُ الدَّمُ فوّارًا متى نَهَدَتْ
إِلَيْهِ طِلْبَةُ أَرْضِ الأَرْزِ: "يا ٱنْسَكِبِ!"

أَيُبْدَلُ الفَجْرُ لَيلًا، والضياءُ دُجًى،
والقلْبُ صَخْرًا وما في الرَّحْبِ مِنْ عُضُبِ!

إِنْ صارَ نَسْلُ الدجى والعارُ لي نَسَبًا،
على الدهورِ، فَإِنّي رافِضٌ نَسَبي!

لكِنَّ في القلبِ تاريخًا إذا ٱدَّهَنَتْ
بِهِ الثرَيّا ٱرْتَوَتْ منْهُ، ولَمْ تَشِبِ،

وَٱسْتَعْرَضَت سورةَ الأَحْقابِ بازِغَةً،
وَهَدْهَدَتْ عِطْرَها الفَوّاحَ في الكُتُبِ:

أَنَّا بلُبنانَ أَرزٌ عابِقٌ، نَضِرٌ،
يَعلو على الدَّهْرِ وَالأَيّامِ والحُقُبِ...

تَجَمَّعَ المَرْدُ في سَهْلٍ ومِئذَنَةٍ
وفي سواعِدَ تَبْني في المدى الرَّحِبِ.

تُغْوي إذا صَمَدَتْ، تُفْني إذا غَضِبَتْ،
تَسلو إذا غَفَرَتْ، لا سوءَ مُنْقَلَبِ؛

السيفُ يلْمعُ في قَبْضاتِها لَهَبًا،
وتَرشُقُ الأَرْض، إذْ يُرتابُ، باللهَبِ!

تُرى، يكونُ كِتابُ الذِّكْرِ فائدَةً
بِحِقْبَةٍ قَلْبُها في كلِّ مُنْشَعِبِ،

ويستفيقُ بِها ٱسْتِقلالُها عِبَرًا
ليوقِظَ القلْبَ مِنْ نَومٍ، ومن كَذِبِ؟

قوموا على عَهْدِ مَنْ ماتوا ولَمْ يَزَلوا
شَرارةُ تَمْخُرُ الوِجْدانَ كالشهُّبِ —

لُبنانُ باقٍ، وإِنْ أَلوى بهِ زَمَنٌ
ضَنينَةٌ كَفُّهُ، تَحْدو على الرُّعُبِ.

لُبنانُ باقٍ، وكالفينيقِ يَنْهَضُ مِنْ
بَحْرِ الرمادِ، فيعلو رَكْبَ مُلْتَهِبِ،

راياتُهُ ٱنْغَمَسَتْ في النار، وانْقلَبَتْ
جَمرَيْنِ حاطا بأرزِ الربِّ والعَرَبِ.

(١٧/ ١١/ ١٩٩٣)

وطن يحترق

نارٌ على الليلِ؟ بَلْ ظَلَّلْتِهِ، سَقَرُ،
وَضَجَّ قلبي بها، والصمْتُ، والفِكَرُ.

يا لُجَّةً عَصَفَتْ، حَمْراءَ، ضارِيَةً،
تَرغي وتُزْبِدُ، والأَجيالُ تَذَّكِرُ...

أَضاقَتِ الأَرضُ بالإنسانِ، واتَّسَعَتْ
لِجَنَّةِ النارِ تُغويها فتَنْتَحِرُ؟

أَمْ ظِلُّ قابيلَ أَرْخى فوقَ أَعْيُنِنا
دِماءَ هابيلَ، حتّى ٱسْتَحْيَتِ الذِّكَرُ؟

ساءَلْتُ نفسي، وفي الأعماقِ مُلْتَهِبٌ:
"أَمَوطِني، وا جَحيمَ الفِكْرِ، يَندَثِرُ؟!"

فردَّتِ النارُ في قَصفٍ، مقهقِهَةً:
"بَلْ مَدْفِنٌ أَيقَظَتْ شَيطانَهُ البَشَرُ!"

نَهَضْتُ مُنخَلِعَ الأَعماقِ، مرتعِدًا،
والحلْمُ يُحرِقُني، حينًا، ويَنْتَهِرُ،

ورحْتُ أَنْظرُ حَوْلي: ربَّما لَهَبٌ
قدْ هَبَّ في وطني، يعلو وينفجِرُ...

رأَيتُني وسْطَ غولِ النارِ، يرقصُ بي،
في كلِّ زاويةٍ ينمو ويستعِرُ،

وفي جِواري قَضيضٌ ليسَ يَسمَعُهُ
إلّا الأُلى رضَخوا للشَّرِّ وٱحْتُضِروا.

هذا اللهيبُ الذي ما زالَ في دَمِنا
قدْ صارَ مَحْوًا منَ النارِ التي سَعَروا!

هذا المدى، والصّلالُ الرُّقْطُ تَجلدُهُ،
أَليسَ عارًا علينا أَنَّهُ دَعَرُ؟!

(١٥/ ١٢/ ١٩٩٤)

طفل الميلاد

تَجَسَّدْتَ في بَيتِ لَحْمَ
لِتَنْزِلَ فينا السماءْ،
وَحَوَّلْتَ عَهْدَ الإلَهِ ضِياءً
وَعَهْدًا جديدًا يُوَثِّقُ هذا الضياءْ.
تَكَوَّنْتَ طِفْلًا بِعَذْراءَ بينَ الرعاةِ
عَلى مَلَإٍ مِنْ عُيونِ الفَضاءْ

لِتَرْسُمَ فينا الأَمَلْ
وَتُعْلِنَ أَنَّ الخَطايا غُفِرْنَ
وَجرْحَ الخَطيئَةِ فينا ٱنْدَمَلْ...
وَتَرْسُمَ وَرْدَ الوَداعَةِ في كُلِّ قَلْبٍ،
وَتُعْلِنُ أَنَّكَ أَنْتَ الفِداءْ.

فَيا أَيُّها الطِّفْلُ،
قُدْنا إِلى نورِكَ المتَجَلّي،
بِأَعْماقِ تِلْكَ المغارَهْ،
وَرُدَّ الحَياةَ إِلى قَلْبِنا،
سَمِّنا مِنْ جَديدٍ لِأَنَّكَ أَنْتَ العِبارَهْ.
وَيا أَيُّها الطِّفْلُ،
كُنّا سُكارى بِمَوْتِ المحَبَّةِ فينا،
وَكُنّا عَبيدًا لِدِينٍ يُحَنِّطُنا في الخَفاءْ،
فَصِرْتَ الطريقَ التي زَحْزَحَتْ مَوْتَنا

وَأَيْقَظْتَ فينا حُضورَ البَهاءْ،
وَذَكَّرْتَنا أَنَّ هَذي الحَياةَ سَرابٌ،
وَأَنَّ المحبَّةَ فينا سَماءٌ
وَكُنّا نَسَيْنا حُدودَ السَّماءْ!

حُضورُكَ أَنْتَ ٱنبِثاقُ الحَياةِ
لِأَنَّكَ وَحْدَكَ أَنْتَ الفِداءْ.
(٢٦ – ١٢ – ٢٠١٦)

نشيد القيامة

– ١ –

يَومَ بَشَّرْتَ بِوَعْدٍ كانَ ميثاقَ السماءْ
وَبِروحِ القُدْسِ يَأْتي عَبْرَ أَبْوابِ الضِّياءْ...
يَوْمَ كانَتْ نَفْسُنا العَمياءُ تَهْوي في الذُّنوبْ
وَحِمى اللهِ ٱسْتَحالَتْ مَتْجَرًا لَيْسَ يَتوبْ

جِئْتَ تَفْدينا، وكانَ الحقُّ ضَوْءًا في المساءْ،
يا إِلَهي،
أَيُّها الحامِلُ أَحْلامَ الرجاءْ...

– ٢ –

يَوْمَ جُسِّدْتَ لَنا إِبْنًا وَإِنْسانًا سَوِيّا،
عَمَّدَتْ كَفّاكَ بالنارِ الضَّعيفَ البَشَرِيّا،
وَشَفَيْتَ البُرْصَ والمرضى، وَفَتَّحْتَ العيونْ
أَنْكَروا أَنَّ يَسوعًا جاءَ يَفْدي ما يكونْ.
لَمْ يَكُنْ عَرْشُكَ في الأَرْضِ وَلَكِنْ في السَّماءْ،
يا إِلَهي،
أَيُّها الحامِلُ أَحْلامَ الرجاءْ...

- ٣ -

يَوْمَ نادى أَنْ يَموتَ الرَّبُّ أَحْبارُ اليَهودْ،
وَيَهوذا باعَ بِالْفَلْسِ يَسوعًا لِلْجُنودْ،
وَقَضى بيلاطُسُ البُنْطِي بِما شاءَ البَشَرْ،
وَتَبَرّا مِنْ دِماهُ بِفؤادٍ مِنْ حَجَرْ،
أُرْسِلَ الفادي إِلى الصَّلْبِ لِيَقْضي بافْتِراءْ،
يا إِلَهي،
أَيُّها الحامِلُ أَحْلامَ الرجاءْ...

- ٤ -

يَوْمَ كُلِّلْتَ بِتاجٍ كانَ مِنْ شَوْكٍ وعارْ
وَعلى ظَهْرِكَ حُمِّلْتَ صَليبًا باحتِقارْ،
وَحَثَثْتَ الخطْوَ صُعْدًا في دُروبِ الجُلْجُلَهْ
حَيْثُ كانَ الصَّلْبُ عيدًا لشموسٍ آفِلَهْ

رَجَفَ التاريخُ، واهْتَزَّتْ دَياجيرُ الفضاءْ،
يا إلَهي،
أَيُّها الحامِلُ أَحْلامَ الرجاءْ...

- ٥ -

يَوْمَ ضَمَّ القَبْرُ جِسْمًا في بُكاءِ المرْيَماتْ،
وَدُموعُ الرُّسُلِ انْسابَتْ على فادي الحَياةْ،
كانَ أَنْ، في ثالِثِ الأَيّامِ، دَحْرَجْتَ الحجَرْ
وَقَهَرْتَ الموْتَ بالحُبِّ وَغُفرانِ البشَرْ -
قُدِّسَ الرَّبُّ، فَقَدْ تَمَّتْ نَواميسُ السماءْ!
يا إلَهي،
أَيُّها الحامِلُ أَحْلامَ الرجاءْ...

- ٦ -

رَحْمَةً، يا رَبُّ، فالإِنْسانُ شَكّاكٌ ضَعيفْ،
وَظَلامُ الجَهْلِ صَعْبٌ فيهِ، والتِّيهُ مُخيفْ،
دُسْتَ كلَّ المَوْتِ بالأَقْدامِ، قَوَّضْتَ الزَّمانْ،
وَكَتَبْتَ الحُبَّ ميثاقًا جَديدًا للأَمانْ،
بورِكَ الصَّلْبُ فقَدْ قَدَّسْتَ بِالصَّلْبِ الفِداءْ،
يا إلَهي،
أَيُّها الحامِلُ أَحْلامَ الرجاءْ...
(١٨ – ٦ – ١٩٩٥)

أغنية

مِنْ دَمْعاتِ الحربْ،

مِن ليلِ الناسْ،

يَخرجُ وَجْهُكَ يا وَطَنًا

مُنْغرِزًا في القلْبْ،

ويُرَتِّلُ في أَعمقِ آهاتِكَ

وَجْهُ الجنَّةِ

أو... وَجْهُ الربِّ...

***

مِنْ تاريخٍ آتٍ،

مِن أَمَلِ الناسِ وأَحلامِ الأَطفالْ،

مِنْ مَطَرِ الفرَحِ النابتِ في دَمْعاتي،

مِنْ أَسواقِ الأَجيالْ،

يخرجُ وجهُكَ، يا وَطَنًا

أوسعَ مِنْ لَونِ الآمالْ،

وتُرتِّلُ في جَبْهَتِكَ الجنّةُ

أو... وَجهُ الربِّ...

***

يا وطَنًا صعْبًا كالقلبْ،

يا وطنًا

أعمقَ منْ خَلْجاتِ القلبْ.

ثانيَةً لبنان

<u>الكورس</u>: تَساَلُ عَنّا الشمسْ

في مُقلةِ النهارْ،

وفَورةُ الديارْ

تُخْبرها بالهَمسْ...

تسألُ عَنّا الشمسْ...

صوت ١: في بيتِنا حديقةٌ

نَزرعُ فيها قَلْبَنا،

نَقْطفُ مِنها النورْ...

يا وطنَ البَخورْ،

مِنْ أَينَ جاءَ شَعبُنا

بِلَعْنةِ الدَّيجورْ؟

صوت ٢: سَنرفعُ البُنيانْ

ثانيَةً، سَنرفعُ البُنيانْ...

ونَعبرُ الشطآنْ،

فالشمسُ في أَهْدابِنا،

والحبُّ في جِرارِنا،

لِنَصْنعَ الإنسانْ.

صوت ٣: كانَ في قلبي مدًى

مِنْ زُرْقةِ البحرِ، وكانْ

هائِمًا في ذَهَبِ الشمسِ

وزَهْوِ الأرجُوانٍ...

كَبُرَ الكونُ بِنا،

ونَمَتْ فينا المنى —

نَحنُ في العمرِ حصانٌ

جامِحٌ عَبرَ الزمانْ...

صوت ٤: أيُّ حُلْمٍ، أَيُّ حُلْمٍ

زرَعَ الأَرضَ فُتونا

وتَجَلّى عَرَبِيًّا

يَحمِلُ الدنيا فُنونا!

سرَقَ الشمسَ وتاها

غِنْوةً فينا وآها —

أَيُّ حُلْمٍ طارَ مِنْ

بيروتَ في الأفْقِ جُنونا!

صوت ٥: فوقَ بيتِنا غَيْمةُ الذَّهَبْ

وَجْهُهُ الضحى قَلْبُهُ الطرَبْ

شاءَهُ الإلَهْ ضَوْعَةَ الزهورْ

وارتدى الحياةْ غارِقًا بنورْ...

حَدُّ بَيْتِنا جَنَّةُ العَجَبْ.

صوت ٦: تَنبتُ خُطْواتُ الحرِّيَّهْ

تقلُبُ وَجْهَ الأَرضْ،

تَنبتُ في أَجفانِ القِمَمِ الوَحْشِيَّهْ

في ملَكوتِ الرفضْ،

تَنبتُ خُطْواتُ الحرِّيَّهْ.

صوت ٧: يا فَجرَ الكونِ الطالعِ

مِنْ ملَكوتِ الحرّيَّةْ،

يا وِقْفَةَ عِزٍّ فوقَ جبينِ الأَرضِ المسكِيَّةْ،

يا سَيفَ الرعْدِ الملتَفِّ

على أَبوابِ الأبدِيَّةْ،

يا صَوْلةَ عِزٍّ فوقَ جبينِ الجرْدِ

تُلَوِّنُها الأَرضُ الصخرِيَّةْ،

هَبْنا أَنْ نَتَزَيَّنَ مِثْلَكَ بالأسرارْ،

أَنْ نَتَعَلَّمَ فَنَّ الحُبِّ

ونَغْرفَ مِنْ نورِ الأقمارْ،

يا وَعْلًا عرَبيًّا يركضُ خَلْفَ الحرّيَّةْ،

يا لؤلؤةً

تَبرقُ فوقَ الَارضِ العرَبيَّهْ.

الكورس: يَنهضُ مِنْ أنقاضِهِ لُبنانْ

ثانيةً لِيَرفَعَ البنيانْ

مُلتَهِبًا كالجَمرْ،

ويَصْنَعُ الإنسانْ.

عيناهُ ضَوءُ البَدرْ

يُبَرْعِمُ الأذهانْ،

يَفتحُ بابَ الفجرْ.

أبواب الرحيل

(إلى جوني أبو جودة)

في وجهِكَ سَفَرٌ طويل، وحول عينيكَ غِياب...

لماذا

ينفتِحُ الوطنُ كالبابِ ولا يعرف الدخول؟

في وجهِكَ سفَرٌ/

تستقبلُ السفَرْ،

ما يتركُ الدخانُ في ضلوعِهِ،

ما يتركُ الضَجَرْ.

تحاربُ القَدَرْ

وفي السماءِ بَرْقٌ

وفي يديكَ جَنّةٌ من المطرْ...

(باب)

ما أتعَبَ الصواعقَ التي تقولُ ما تقولُ

والضبابُ نقطةٌ –

مسافةٌ غريبةٌ من الذهولِ والتعَبْ.

مسافةٌ...

على الشفيرِ/ حولَ أرضِكَ الشفيرُ

بينَنا وبينَنا

رملٌ...

(باب)

قَرابةٌ مضيئةٌ —

لعلّها بدايةٌ

أو غربةُ السفَرْ —

لعلّها سفَرْ...

١٧/ أيار/ ١٩٨٣

مرآة لجليل حيدر

(إلى الشاعر جليل حيدر)

عندَما تستكينُ إلى الذاتِ

ظِلًّا لِمِرآةِ جوعٍ

وترقصُ حولَ حطامِ الزوايا

تُعايِنُ أرضًا من الإمتدادِ

وتتركُ جوعَكَ شَهوةَ خَسْفٍ

تُرَجِّعُ بينَ المرايا...

فهرس المحتويات



خَطْرَةٌ أَنْتَ وَوَحْيٌ سَرْمَدٌ

قَطَفَتْهُ الشمسُ، فالْتَذَّتْ عَذابا،

ورَمَتْنا أَرْزَةً في تُرْبِهِ،

باسَها اللهُ، فما عادَتْ تُرابا!